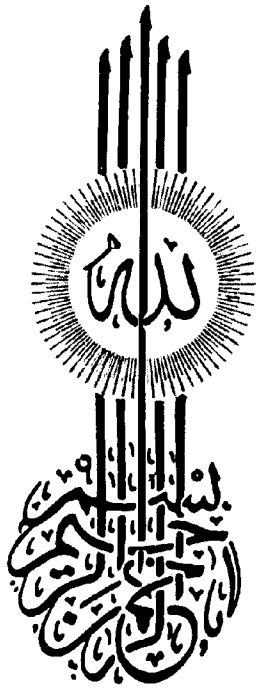

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الأمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء السادس والعشرون

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

٤٦ ـ سورة الأحقاف مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾.

قد تقدّم بيانُنا في معنى قوله: ﴿حم * تَنْزِيلُ الكِتابِ﴾ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿ما خَلَقْنا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إلاَّ بالحَقّ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقاً مصنوعاً، وما بينهما من أصناف العالم إلا بالحقّ، يعني: إلا لإقامة الحقّ والعدل في الخلق.

وقوله: ﴿وأَجَلٍ مُسَمّىً﴾ يقول: وإلاّ بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه، ويعدمه بعد أن كان موجوداً بإيجاده إياه.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون، لا يتعظون به، ولا يتفكرون فيعتبرون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: أرأيتم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدون من دون الله، أروني أيّ شيء خلقوا من الأرض، فإن ربي خلق الأرض كلها، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأرباباً، فيكون لكم بذلك في

فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا تقولي ذلك، ولكنه كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ[1] ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾. وقد ذُكر أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود. ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان: :

أحدهما: وجاءت سكرة الله بالموت، فيكون الحقّ هو الله تعالى ذكره. والثاني: أن تكون السكرة هي الموت أُضيفت إلى نفسها، كما قيل: ﴿إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾. ويكون تأويل الكلام: وجاءت السكرةُ الحقُّ بالموت.

وقوله: ﴿ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يقول: هذه السكرة التي جاءتك أيها الإنسان بالحقّ هو الشيء الذي كنت تهرب منه، وعنه تروغ.

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ قد تقدّم بياننا عن معنى الصُّور، وكيف النَّفخ فيه بذكر اختلاف المختلفين. والذي هو أولى الأقوال عندنا فيه بالصواب، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿ذلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ يقول: هذا اليوم الذي ينفخ فيه هو يوم الوعيد الذي وعده الله الكفار أن يعذّبهم فيه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وجاءت يوم ينفخ في الصور كلّ نفس ربها، معها سائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شرّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

= فقال: ليس كذلك، ولكن: «وجاء سكرة الحق بالموت». وهي قراءة منسوبة إليه وقال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٠٩) عند قوله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾: وفي قراءة عبد الله (ابن مسعود) وإن شئت جعلت السكرة هي الموت، أضفتها إلى نفسها كأنك قلت: جاءت السكرة الحق بالموت ا هـ. قلت: وهذا البيت لحاتم الطائي، وروايته في ديوانه (لندن سنة ١٨٧٢ ص - ٣٩).

أماوِيَّ ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عنِ الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يوماً وَضَاقَ بها الصَّدْرُ

(١) لعله سكرة الحق بالموت فإنها قراءة الصديق رضي الله عنه إلا أن تكون القراءة الأخرى رويت عنه أيضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن يحيى بن رافع مولى لثقيف، قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب، فقرأ هذه الآية ﴿سائِقٌ وشَهِيدٌ﴾ قال: سائق يسوقها إلى الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

قال: ثنا حكام، عن إسماعيل، عن أبي عيسى، قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب، فقرأ هذه الآية ﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ﴾ قال: السائق يسوقها إلى أمر الله، والشهيد يشهد عليها بما عملت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال: السائق من الملائكة، والشهيد: شاهد عليه من نفسه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سفيان، عن مهران، عن خصيف، عن مجاهد ﴿سائِقٌ وشَهِيدٌ﴾ سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿سائِقٌ وشَهِيدٌ﴾ سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله ﴿سائِقٌ وشَهِيدٌ﴾ قال: المَلكان: كاتب، وشهيد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ﴾ قال: سائق يسوقها إلى ربها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، في قوله: ﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ﴾ قال: سائق يسوقها إلى حسابها، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ﴾ قال: سائق يسوقها، وشاهد يشهد عليها بعملها.